

ماضى القرويين

بقلم العالم الشاب العارف السيد محمد علال الفاسي

لسنا نريد أن نعلم في هذا المقال الى سرد تاريخ القرويين واستيعاب أهم الاطوار التي مرت عليها منذ استيمنتها فاطمة ام البنين عام ٢٤٥ هـ الى أن حازت شهرتها الذائعة التي تغني عن الاشادة بذكرها ولكننا لانرى بداً من ان نعرض على الانظار ولو صورة من صور الثقافة العلمية التي كونتها القرويون في مختلف هاتيك الاطوار والروح العلمية التي بثتها في أنحاء البلاد وتسربت منها الى ما وراء المحيط حيث اهدت الى مختلف امم الشرق والغرب حظاً من ثمار رجالها الذين خدموا المعرفة بكل اخلاص يحمله اليهم عديد الطلبة الواردين عليها من مختلف تلك الامم والمصدرين عنها أنضج تلك الثمار .

واذا كنا نريد أن نبحت في تلك المادة الوحيدة التي كانت تكسب البلاد حياة راقية وروحا شاعرة وأدبا جما وعلماً نافعاً لم نجد الا هذه الجامعة وفروعها فهي التي استطاعت وحدها - أن تخرج لنا في سائر الاجيال الماضية اولئك القادة أبطال المعرفة الذين نستنير اليوم بأدبهم ونستفيد من منتجات أفكارهم ونتمتع بما خلفوه من علوم وآداب . وهي التي استطاعت ان تعطى للعالم الادلة العملية على تكاتف العلم والدين . بما كانت تحتوى عليه من مختلف الفنون والعلوم سواء منها ما يتعلق بالدين او الدنيا . وبما كانت تنجيه من العلماء الذين لم يعقهم تمسكهم الشديد بالاسلام عن ان يفتحوا

صاويرهم لتبول كل شيء ، ودرس كل ما من شأنه ترقية الفكر واصلاح الضمير

واذا أردنا أن نسرّد أسماء كثير من الافذاذ الذين كانت لهم اليد الطولى في تلك الفنون عد ذلك منا استطراداً وخروجاً عن الموضوع ولكننا نذكر على سبيل التمثيل . عبد الله بن حجاج صاحب الارجوزة في الجبر والمقابلة المتوفى سنة ٦٠١ وأحمد بن شعيب الجزنائي الطبيب الاديب المتوفى سنة ٦٤٩ وأبا زيد الجادري الفلكي الشهير المتوفى سنة ٨١٨ وعبد الله اليفرنى الحيسوبى الكبير المتوفى سنة ٨٥٦ وأبا عمران ابن العقدة موسى الصلتاني المتوفى سنة ٩١١ والفلكي محمد بن عمر المتوفى سنة ٧٩٤ والامام ابن البنا الفلكي الشهير والمهندس الفلاحى الكبير والفيلسوف الخطير المتوفى سنة نيف و ٧٢٠ ومحمد بن ابى القاسم ابن القاضى الرياضى المتوفى ١٠٤٠ وأبا العباس احمد المطرفى الممدل المتوفى سنة ١٠٠١ وأبا الحسن ابن عبد الواحد المتوفى سنة ١٠٥٢ صاحب المؤلفات القيمة في الطب والتشريح والفلكي محمد بن احمد الصباغ العقيلى المتوفى سنة ١٠٧٦ والميقاتى المهندس الاديب عبد الوهاب ابن ابى حامد الفاسى المتوفى سنة ١٠٧٩ والفلكي أبا زيد البعقيلى السوسى المتوفى سنة ١٠٠٦ والشيخ الحكيم محمد ابن سليمان الروداني مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالشام سنة ١٠٩٥ والميقاتى ابا الحسن الددسى

المتوفى سنة ١٠٩٤ واسيوطي زمانه ابا زيد عبد الرحمن الفاسي الذي قال فيه صاحب الصفوة انه أعرف بكل فن من اهل كل فن مؤلف كتاب الاقنوم ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية الخالدة المتوفى سنة ١٠٩٦ وغير هؤلاء من الافراد الذين لم تحضروا أسماءهم

أما في العلوم الدينية وفلسفة الكلام الاسلامية فهذا شيء فوق الحسبان لا يصل الى حد ولا يقف عند نهاية

وهناك بابل غازی والونشريسي وأبي زكرياء السوسي وأبي مهدي علال المصمودي وأبي عمران المبدوسي والقنوري . وأبي حامد العربي الفاسي . وعمه العارف بالله وأبي السعود وولده محمد وأبي حفص عمر وأبي عبد الله ابن سودة وأحمد المكيدي واليوسي وغيرهم ممن لا



عمل بوحصير

منظر داخل القرويين

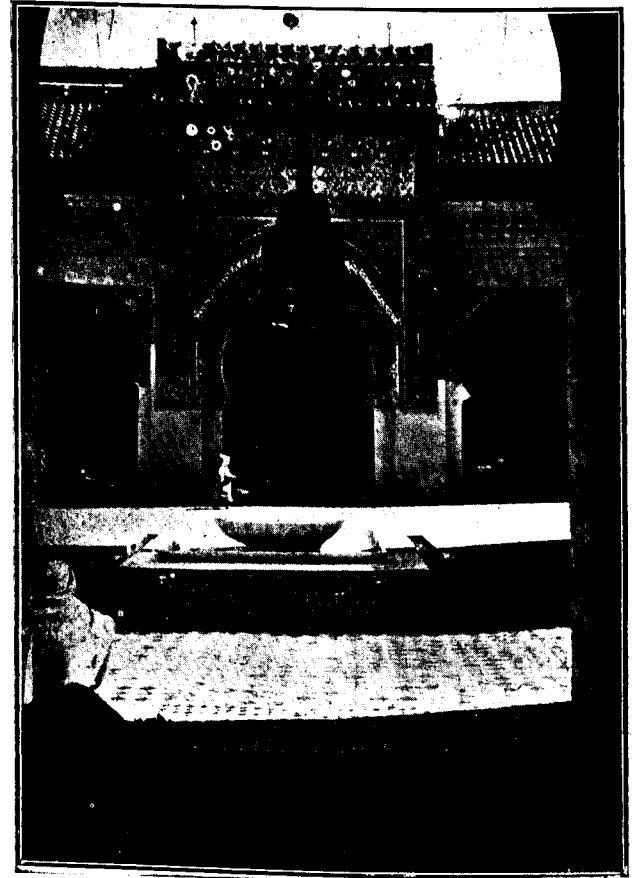
فضلا عن بلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابلسيين والتونسيين والمصريين والانديسيين وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الادريين (عزيزنا) والبابا (سلفستر) وهو أول من ادخل الى اوروبا الاعداد العربية وطريقة الاعداد المألوفة بعد ان اتقنها جيداً في هذه الكلية (١) يظهر ان هذا تغيير فرنجي لم يقنع الكاتب تعريبه والا فهو دائما كلية القرويين

يوسف الفارسي المتوفى سنة ١٢١٣ وأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفارسي الحيسوبي المقرئ الكبير المتوفى سنة ١٢٢٤ والرياضي البارع أبي عباس أحمد بونافع المتوفى سنة ١٢٦٠ والمهندس الطبيعي أبي بكر بن زياد الإدريسي والمهندس الرياضي أبي العباس أحمد الريني وغيرهم . وناهيك بكون الامام سيدي محمد بن علي السنوسي تخرج في هذا العصر من القرويين بعد ما درس عدة من هذه الفنون على رجالها الاكفاء كما يحدثنا عن ذلك حفيده السيد أحمد الشريف الزعيم الطرابلسي في سيرته التي ننقل عنها بواسطة الامير شكيب ما ياتي أثناء ترجمته لابي بكر بن زياد الإدريسي المتقدم الذكر .

حضرته في علوم كثيرة وقرأت عليه الفرائض والحساب والاربعة وصنائعها . والاسطرلابين وصنائعهما والعلوم الاربعة والرياضية والهندسة والهيئة والطبيعة والارتماطيق واصول قواعد الموسيقى والمساحة والتعديل والتقويم وعلم الاحكام والينس (بكسر النون) والوفيق والقواعد الجفرية والاصول الزايرجية والبسط والتكبير والجبر والمقابلة وغيرها . وفي هذه الفقرة الموجزة بيان يمكن ان نأخذ منه صورة مجملة عن الفنون التي كانت تدرس بالقرويين في القرن الماضي وهو يثبت لنا ما ندعيه من ان القرويين لم تخل قط من هذه العلوم . ولا زال اعتناؤها بها في طور من اطوارها السالفة وذلك ما يذكره كثير ممن تعرضوا للمغرب في كتاباتهم من الاوربيين كالمسيو بونة مورو مؤلف كتاب الاسلام والنصرانية في افريقيا وغيرها على أن بقية صالحة من نبغاء هذا العصر قد تأخرت بهم الحياة الى ان تجاوزوا عتبة القرن الحالي بل قضوا فيه

كما يظهر من رسالته الى الامبراطور اتون مساعده التي أتى فيها على ذكر الصفر بقوله : اني اشبهك بالرقم الاخير من الاعداد البسيطة العشرية التي يزداد قيمة بوضع اعداد اخرى عن يساره »

ولم تخل القرويون في عصر من عصورها السالفة عن هذه العلوم الحديثة التي تتمطش اليوم اليها تتمطش الظمان للماء البارد بل كانت دائما موردا لكل فن ومصدرا لكل علم تنجب الطبيب والفنكي والرياضي كما تنجب انفسر والفقيه



عمل بوحصير

منظر حجن القرويين

والاديب ففي غضون القرن الثالث عشر الذي يعمد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في الهمم والتأخر في المعارف كان بالقرويين رجال لا يستهان بهم علما واقتصادا وسعرة بتلك الفنون كالفلكي الكبير أبي زيد عبد الرحمن بن

شوطا كبيرا وما انتقلوا للعالم الاخرى حتى خلفوا تآليف تشهد بفضلهم وتدل على براعتهم في تلك الفنون ناهيك بالطبيب الماهر سيدى عبد السلام العلمى هذا السيد الذى أخذ الطب العلمى بالقرويين ثم ذهب موفداً من قبل السلطان مولاي الحسن الى القاهرة حيث تعاطى الصناعة العلمية بالمستشفى الكبير ثم رجع نابغة من نوابغ الفن فالف كتابه فى البواسير وكتاب ضوء النبراس فى حل الفاظ الانطوائى بلغة فاس وذكر فى آخر كتابه هاذا انه شرع فى تاليف معجم للمصطلحات الطبية الجديدة ومقابلتها بالمفردات العربية واللهجة المغربية ولا ندرى أكمل تاليفه هاذا ام حالت المنية بينه وبين ذلك وكذلك المهندس الكبير أبو عبد الله الاغزاوى والفلكى الماهر سيدى ادريس البلغيثى والموسيقى البارع السيد محمد الايرارى الذى استمر يدرس اصول الموسيقى بظهر صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هاذا القرن هاذا عدا الذين كانوا يضيفون لمعلوماتهم الدينية توسعا كبيرا فى بعض المناحي العلمية كالطبيين الماهرين ابى الحسن علال بن عبد الله الفياسى وأبى محمد عبد السلام بنانجى وغيرهما من نوابغ المتأخرين .

ولسنا ننكر مع هاذا ان الفوضى العلمية كانت سائدة فى هاذا العصر بجامعتنا وانه لم يكن هناك نظام متين يلزم باتباعه التلامذة والمدرسون خصوصا بعد ما تولى القضاء (١) جماعة من العلماء لم يكن همهم الا فى قضاء اغراضهم الشخصية والزمى بالمصاحبة العامة جانبا فاخذوا يرشجون للعالمية كل من هو منحاش اليهم او متعلق بأكنافهم ، وأصبحت المسألة

(١) كان القضاء قديما هم المكاهون باجراء ما يتعلق بالجامعة لكونهم المختصين شرعا بالنظر فى شؤون الاحباب وما اليها

حديث

عن معمل عصير العنب بالبيضاء

لابغنى ما لعصير العنب من الاهمية الكبرى والفائدة العظيمة من حيث منافعه ومصالحه . فان خاصة التقوية والترويق فى عصارة العنب . معروفة منذ القديم قال عنه اطباء العرب انه اجود مواد الفواكه تغذية وتقوية . وتلطيفا وترويقا يصلح هزال الكلى ويصفي الدم ويعدل الامزجة الغليظة . وينفع فى السوداء والاحترق ويقول عنه الدكتور (نارود تسكي) فى كتابه (الملاج النباتي) انه مرطب منظف للقناة الهضمية يعطى فى الامراض الاتهابية وسداد الكبد والطحان والامراض المعدية المعوية والتهاب الامعاء والامساك وهو مشروب ذو تأثير كبير ضد السعال وآفات الرئة وما ذكره هذا الدكتور موافق تماما لتأثير التجارب الطبية قديما وحديثا فقد نتحقق ان العنب باصله الجوهرى مضاد للاختار الداق ومساعد على اختزان المواد الازوتية والدهنية فى الجسم ومعظم هذه الخواص موجود بذئرة فى الغير المخمر منه محققا بل قد تزيده عملية استخلاص الكحول تقوية فى الاثر والخاصة وقد كان ولا زال

مستعملا عادة الاستشفاء به من أمثال القروح الالتهابية في بعض مدن المغرب كفاس ومراكش وزددهوت فانهم كانوا ولا زالوا يصنعون منه للاندوفة والتلطيف ما يسمى بالصامت بيد انه لكونه عتيقا ولم تدخل عليه الندابير العصرية المكتشفة لم يكن مامون التخمر ثم ان للعصير صالح اخرى مشتركة غير خافية فانه من الذي المشروبات ويشبه عصير الليمون لكن يزيد عليه بكون عصير الليمون لازال لم يكتشف اسلوب لعصره على كيفية تحفظ عصيره من التخمر ثم ان هذا العصير اذا حصل على ما ينبغي له من الشيوخ كان أحسن وسيلة الى منع الناس من معاقرة الخمر واجدى كيفية

جهة اخرى شيدت هذه الشركة معملا بالبيضاء وارادت تدشينه على يد المسلمين فاستدعت لذلك نخبة من اعيانهم المتنورين ولم تردد في اجابتها حامدين لها التنبيه الى تشريكنا في مشروع اقتصادي عظيم ذلك التشريك الذي نتمنى ان تجرى العادة به في المغرب الذي جلسكانه منا وقد اقبل المدعوين ومن جئاتهم النقيب العلامة مولاي عبدالرحمن بن زيدان والشهم البصور الاستاذ سيدي محمد الجزولي والنابغة الاديب سيدي عبد العزيز البعقوني ورئيس قدماء تلاميذ البيضاء الاديب الباقعة سيدي الحاج المختار بن عبد السلام والعالم الرحالة سيدي عبد القادر السودي والفاضل الاريب سيدي ادريس



البنبيوري والشهم الامثل قائد مدينة فضالة وغيرهم من الذوات جناب البرنس موري (Murat) بما يعهد منه من البشاشة واللطافة والبرنس هذا اشهر من ان يعرف به رجل من اكبر بيوتات اوربا من ولد موري الشهير مشير نابليون بونبارت وملك نابلي مثر عظيم ولكنه شغوف بالعمل عوض الاتكال على ماله له اعمال كبيرة عادت بالفائدة وهو من الذين لهم افكار فرنسية حقيقة أي انه محب للمسلمين عارف بحاجياتهم معضد لهم ومن أقواله عند الملاقاة قوله أرى من الواجب محاربة الكحول خصوصا في هاته الارض الاسلامية

لحاربتهم بما يجدون فيه من مادة المنب وخاصته وصفاته ورونقه من غير تخمير فيرجع على الوطن بضرورة جديدة اذا هو خلف الاتاي المجلوب من الخارج لان العصير المذكور من نتائجه استهلاك محصولات الكروم المغربية الوطنية وفي ذلك من الفائدة ما فيه .

هذا الذي ادى الى تأسيس شركة بالبيضاء من فرنسويين وأهالي مسلمين لاكتشاف عصير غني مستخلص الكحول بخلف الخمر في رواجها ويبدل للناس مضارها بمنافعه وفوائده المزدوجة جريا منهم وراء مكافأة الخمر من جهة وخدمة لمصاحبة الاقتصاد المغربي من

بسائر الوسائل كما ارى من اللازم في هذا الزمن الذى تحتاج فيه كل امة الى الاكتفاء بمحصولاتها ان تبذل جهودها في استغلال ما تلبث أرضها

ثم شرع المستخدمون في عمليات التعصير تبدئى هاته العملية بافراغ كمية غشبية في ظرف حديدي متسع الفوهة متضايق القعر . وظيفته فرك العنب وافراز حبه الثمرية عن سيقاقه العنقودية . و بقعر هذا الظرف الحديدي فتحة تحتية يتدفق منها مفروك العنب الى انبوبة تكب في قناة سمكية ترسله الى وعاء حديدي مرتفع عن ذى قبل يصعد اليه ذلك المفروك بشحمه وقشوره ونواته ليعمل فيه بدوره عملية طرح القشور والبذور



البرنس مورى

بعد تمام هذا الدور تصعد الماهية الى مرجل حار ساخن مرتفع عن الارض بيماتر لاحراق مكروب التخمر واستخلاص عنصر الاسكار ومادته وتمكث العصارة في هذا المرجل البالغ في حرارته الى ٥٢ درجة بضعة دقائق كافية لقضاء حاجة قتل المكروب

بعد هذا تسير العصارة في قنوات الى ظرف آخر مكعب حيث يقوم هذا بمهمة مخضها وخضخضتها وتهيتها للعصر . ومنه تنحدر العصارة في ميازيب تتدفق منها منهمة على اكياس قماشية كثيفة ذات مسام ضئيلة . اكياس غاية في النظافة

هنا تبدئى العملية في تطويع الاكياس لتلقى العصارة الى ان تمتلىء متتابعة حيث يطوونها على شكل لفائف مختومة . بعضها فوق بعض . وبين كل لفافة واخرى حائل خشبي مربع مقدود فحينها تنزلق الدكة الحديدية الحاملة لطبقات اللفائف الى أن تستوى متوازية تحت كتلة حديدية سمكية مضلعة مدلاة من اعلى . وعند تمام المسامته بينهما تقع تلك الكتلة على الدكة ضاغطة ثقيلة عليها حيث بها تنهمر رشوحات العصير من مسام اللفائف في شكل صبيب شجاج . على مصفاة نضاجة فوارة ينزل منها الى الدنان التي تبقى في بيت مبرد مثلوج مدة خمسة وأربعين يوما لترويقه والزيادة في استيصال ميكروب التخمر ومنها الى القوارير حيث يخرج الى الاكواب رحيقا مختوما

الى هنا انتهت عملية التعصير وعندها تقدم الينا باكواب من مائع فاثر ناعم خاثره متفرق نضاض ريق احمر قاتم في لون الدم شفاف في صفاء المين الا انه ذو فقاقع وحبب كنجوم السماء . أو كبرد الثغري كفي في

أدب البرنس المذكور لدعوى به مادبة بهيجة على آخر طراز خللاها بقوارير وأكواب من عصير عنب مصنوع بفرنسا ذاكرا ان مذاقه لا يشابه مذاق عصير المعمل البيضاوى الذى سنراه لان عصير فرنسا هو للندوى به أكثر منه لشر به فان فيه موادا كيمياوية لا توجد في عصير معمل البيضا . لانه باق على حالته الطبيعية كما يريد به ثم بعد المادبة ذهبنا صحبة المضيف الهشوش الى مشاهدة المعمل وهناك استقبلنا مهندس أمريكي أتى به خصيصا لهذا المشروع مع غيره من مستخدمين فر بنا على فناء فسيح الارعاء معبد مرصوف نظيف مرونق أدانا فيما بعد مدخله الى مدرج منبسط لامرأى له دار بنا على نفسه دورات في صعدده وانحداره . مستوى الموطأ افقي

الاشادة به ان يقال عنه انه عصير العنب عذب سائغ للشاربين
وعند الانتهاء من مشاهدة اقسام المعمل وانقضاء الوطر من التفرج
على قاعاته ورداته ودعنا مضيفنا الكريم بعد كلمات شكر واستعانة
من طرفه أجاب عليها بعبارة حكيمة جامعة نباهة نابغة الرباط
الاستاذ محمد الجزولي جاء من غررها قوله (يجب علينا معشر المغاربة
تحجيد وتشجيع معمل التقصير العائد على وطننا بالثروة والرفاهية
العظيمة وشكر واعانة رئيس الشركة البرنس موري على سهره
لفائدة المغرب الذي يجب ان يكتفى في حياته المادية بمحصولاته
الارضية كبقية الشعوب الحية التي تتحدى العمل على هذا المبدء)
عبد الاحد

عمل فطر الكبار



زيارة معمل عصير العنب

نرجو
من اخواننا المشتركين أن يؤدوا اشتراكاتهم كما
نرجو منهم ان يذيعوا المجلة من بين اصدقائهم ومعارفهم
تعميماً للنفع والفائدة
ومن حملة الاقلام وأهل الرأي ان يعينونا بافكارهم
ومقالاتهم . وللجميع منا الشكر الجزيل .

حكم

الاعمى من يرى بغير عينه . والاصم من يسمع
بغير أذنه

يتقى الناس بعضهم بعضاً في الصغائر . ولا يتقون الله
في الكبائر

من لم يكن في عنان لذة أوتحت مهماز ألم . فليس
على ميدان الحياة

الجماعات مطايا أهل المطامع تبلغهم الى منازل الشهرة

